وهو طويل القامة نحيف الجسم شديد العضل برّاق العينين غزير شعر الراس بلغ الثمانين ولا يزال يمشي منتصبًا ويركب فرسهُ ساعات متوالية كالشبان. فسبح الله لهُ في الاجل واراهُ من ثمار اعمالهِ ما يملأُ قلبهُ سرورًا

وما غرضنا من نشر ما نشرناهُ عنهُ الاَّ ان يكون مرشدًا لرؤساء المدارس حتى يقتدوا بهِ ويحذوا حذوهُ في تثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم فينشأُوا رجالاً يُعتمَد عليهم وتنتفع بهم بلادهم . اما النهضة العلمية الادبية التي اشرنا اليها في صدر هذه المقالة فاستمرَّت عشرين سنة ثم خبت نارها بما ذُرَّ عليها من رماد المراقبة والتضييق وصار الشبان يهجرون البلاد حالما يتمون دروسهم الاَّ نفرًا قليلاً منهم ولله الامر

الله والعلم

اسرُّ الى المقتطف هذه الكلمة الفانية على هذه الدنيا الفانية واسألهُ ان يذيعها تمجيدًا لله وتنويهًا بالعلم الذي هو آية ملكهِ ورسولهُ الذي لا يموت في العالمين

ولئن وعظ الاسكندر الناس ساعة مماتهِ اضعاف وعظهم في حياتهِ ففي مرض الملك ادورد وهو يضطلع بالدولة التي ينحسر الطرف في مواكبها ما فيهِ للنفوس مزدجر وما جمع الله فيهِ العبر

لِمن ذلك المُلك الذي عزَّ جانبهُ ... لقد وعظ الاملاكَ والناسَ صاحبهُ
أَمُلكُ أيا ادوَرْدُ والملك للذي ... يغار عليهِ والذي هو واهبهُ
اراد بهِ امرًا فجلَّت صدورهُ ... فأتبعهُ لطفًا فجلَّت عواقبهُ
رمى واستردَّ السهمَ والخلقُ غافلٌ ... فهل يتَّقيهِ خلقهُ او يراقبهُ
أيبطلُ عيد الدهر من أجل دُمَّلٍ ... وتخبو مجاليهِ وتُطوَى مواكبهُ
ويرجعُ بالقلب الكسير وفودهُ ... وفيهم مصابيح الورى وكواكبهُ
وتسمو يدُ الدهر ارتجالاً بيأسها ... الى طنب (الاقواس) والنصر ضاربهُ
ويستغفر الشعب الفخورُ لربهِ ... ويجمع من ذيل الخيلةِ ساحبهُ
ويحجب ربهُ العيد ساعةَ عيدهِ ... وتنقص من اطرافهنَّ مآدبهُ
ألا هكذا الدنيا وذلك ودّها ... نهلاً تأتّى في الاماني خاطبهُ
اعدَّ لها ادوردُ اعيادَ تاجهِ ... وما في حساب الله ما هو حاسبهُ
مشت في الثرى انباؤُها فتساءلت ... مشارقهُ عن امرها ومغاربهُ

وكاثر في البر الحصى من يحويهُ ... وكاثر موج البحر في البحر راكبُهُ
الى موكبٍ لم تخرج الارضُ مثلهُ ... ولَنْ يتهادى فوقها ما يقاربُهُ
اذا سار فيهِ سارت الناس خلفهُ ... وسوَّت مقادير الملوك ركائبُهُ
تحيطُ بهِ كالنمل في البر خيلهُ ... وتملا آفاقَ البحارِ مراكبُهُ
نظام المجالي والمواكبِ حلَّهُ ... زمانٌ وشيك ربهُ ونوائبُهُ
فبينا سبيل القوم أَمْنٌ الى المنى ... اذا هو خوفٌ في الظنون مذاهبُهُ
اذا نبأُ الاعياد في كل مسمعٍ ... تجوبُ الثرى شرقًا وغربًا جوائبُهُ
رجاءٌ فلم يلبث مخوفٌ فلم يدم ... سلِ الدهر ايُّ الحادثين عجائبُهُ
فيالبتَ شعري اين كانت جنودهُ ... وكيف تراخت في الفداء قواضبُهُ
ورُدَّت على اعقابهنَّ سفينهُ ... وما ردَّها في البحر يومًا محاربُهُ
وكيف افاتتهُ الحوادث طلبةً ... وما عودتهُ ان تفوت رغائبُهُ
لكَ المُلْكُ يا من خصَّ بالعزّ ذاتهُ ... ومن فوق آراب الملوك مآربُهُ
فلا عرش الاَّ انت وارث عزّهِ ... ولا تاج الاَّ انت بالحق كاسبهُ
وآمنتُ بالعلم الذي منكَ نورهُ ... ومنكَ اياديهِ ومنكَ مناقبُهُ
تؤمِّنُ من خوفٍ بهِ كلَّ غالبٍ ... على امرهِ في الارض والداء غالبُهُ
سلوا صاحبَ المَلكَيْن هل ملكَ التوى ... وأَسْدُ الشرى تعنو لهُ وتحازبُهُ
وهل دفع الداء العضال وزيرهُ ... وهل حجبَ البابَ المنيع حاجبُهُ
وهل قدَّستْ إلاَّ دعاء شعوبهُ ... وساعف إلاَّ بالصلاةِ أقاربُهُ
هنالك كان العلم يبلي بلاءهُ ... وكان سلاحُ العلم تغني تجاربُهُ
كريم الظبى لا يقربُ الشرَّ حدهُ ... وفي غيرهِ شرُّ الورى ومعاطبهُ
اذا مرَّ نحو المرء كان حياتهُ ... كاصبع عيسى نحو ميت يخاطبُهُ
وأيسرُ من جرح الصدود فعالهُ ... وأسهل من سيف اللحاظِ مضاربهُ
عجيب يرجّي "مشرطًا" او يهابهُ ... مَن الغربُ راجيهِ مَن الشرق هائبُهُ
فلو تُفتدى بالبيض والسمر مدية ... لألفت فداها في البلاد كتائبُهُ
ولو ان فوق العلم تاجًا لتوَّجوا ... طبيبًا لهُ بالامس كان يصاحبُهُ
فآمنت بالله الذي عز شأنهُ ... وآمنت بالعلم الذي عزَّ طالبُهُ

مصر احمد شوقي